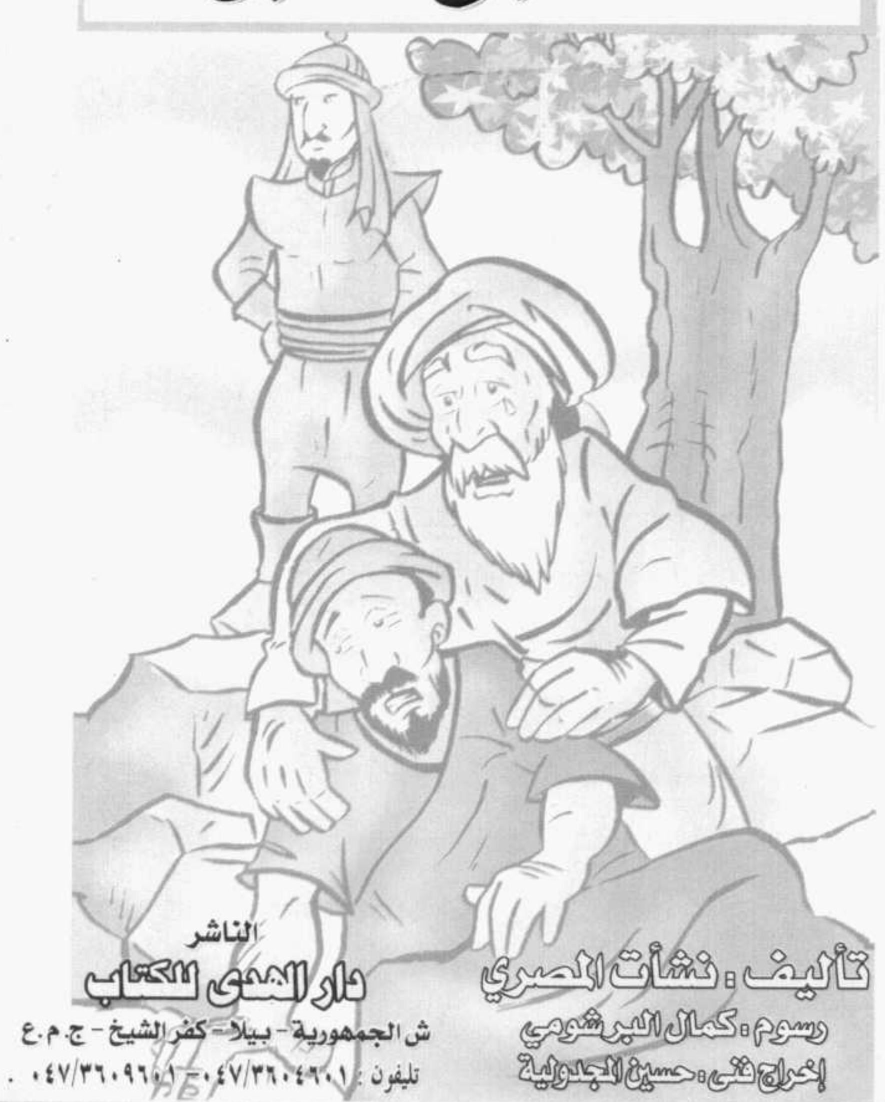
الإمام المظلوم
أحمد بن حنبل



تأليف : نشأت المصري
رسوم : كمال البرشومي
إخراج فنى : حسين المجدولية

الناشر
دار الهدى للكتاب
ش الجمهورية - بيلا - كفر الشيخ - ج.م.ع
تليفون : ٠٤٧/٣٦٠٤٦٠١ - ٠٤٧/٣٦٠٩٦٠١

بطولـــة

مَعَ أشعّة الشّمس الحَانية في صَباحِ يوم جَديد منْ أيامِ الرَّبيع، وُلِدَ أحمدُ في مَدينة بغداد عامَ ١٦٤ هـــ، وتَحدَّثت نساءُ الأسرة عنْ بَريق عينيه الوَاسعتين، ووَجهه الأسمرِ الحَسَن، وامتلأتْ مَشاعرُ أبيه مُحمدُ بن حَنبلِ بالرِّضا فصلَّى رَكعتينِ شُكرًا لله، وحدَّثته نفسُهُ بأنَّ هذا المولُودَ الجَميلَ سَيَكونُ نافعًا للنَّاس.

وتمُرُّ الأيامُ، ويُصبحُ ذَكاءُ أحمد وفَصاحَته وهُوَ صَغيرٌ حَديثَ العَائلَة.

وَبعدَ سَنوات قَليلَة فقدَ أحمدُ وَالدَه، وتركَ لهُ ولأمّه ميرَاثًا قليلاً.

وكانَت الأمُّ شَابّةً جَميلَةً لاَ تَزالُ، ورَفَضَت الأمُّ البطلَةُ الزَّوَاجَ حَتَّى تتفرَّغَ لتربية ابنهَا أحمد، وَتحمَّلت الكَثيرَ منْ أجله، وَاختَارَت لَهُ أفضَلَ الشُّيوخِ ليتعلَّمَ علَى أيديهم، وَفي كُلِّ لَيلة تَحكي لوَلدها صُورًا مُشرقَةً منْ تاريخِ الإسلامِ وَالمُسلمينَ وبُطولات المُجاهدين، وتَزرَعُ فيه قيَمَ الأخلاَق وَالدِّين.

مع مدير البريد

أَصبَحَ أحمَدُ غُلامًا صَغيرًا، يَلعبُ أصحَابُهُ ويَمرحُونَ، لَكنَّهُ يَحتاجُ إلى مَال يُعينُهُ ويُعينُ أُمَّهُ عَلَى تَكاليف الْحَيَاة، وَكَانَ عَمُّهُ يَعمَلُ في خــدْمَة الْخليفَةِ «هَارُونَ الرَّشيد» فَالعمُّ يَجمَعُ أخْبَارَ بَغدادَ ويُسلِّمُهَا إلى مُديرِ الْبَريد ليُوصلَهَا إلى الخَليفَة، وَقَدْ أسْنَدَ الْعَمُّ إلى أحمَد مُهمَّةَ إيصَالِ الأَخبارِ التي حصَلَ عَلَيْهَا إلى مُديرِ الْبَريدِ نَظير مَبلَغٍ منَ الْمَال.

وَذَاتَ يَوم..

كَانَ الْخَليفَةُ بَعيدًا عَنْ بَغدَادَ، وَلَمْ تَصلْهُ الأَخبَارُ كَالعَادَة..

وَأدركَ عَمُّ أحَمَد أنَّ ابنَ أخيه لَمْ يُوصِّل الأَخبَارَ إلى مُديرِ الْبَريد..

سَأَلَهُ: لمَاذَا فَعلَ ذَلك؟



أجَابَهُ أحمدْ: لَقدْ رَمَيتُ بالأخبارِ في المَاءِ.. أأنا أُوصِّلُ الأخبارَ؟!

لَقَد انتبَهَ أحمدُ إلى أنَّ عَمَليَّةَ توصيلِ الأخبارِ تَرتَبطُ بالتَّجَسُّسِ، وَهُوَ مَا لمْ يَستَرِحْ إلَيْه..

وَحينَ بَلَغَ مُديرُ البَريدِ مَا قَالَ الصَّغيرُ أحمدُ قَالَ:

إنَّا للهِ وَإنَّا إليه رَاجِعُون، هَذَا غُلامٌ يَتَّقِي اللهَ.. فَكيفَ نَحْن؟!

من أجلك يا أمي

أرادَ أحمدُ أنْ يُريحَ أمَّهُ، ويَعفيهَا منَ الإنفَاقِ عليه، فتَعلَّم فنَّ النَّسجِ عَلَى يَدِ نسَّاجٍ يَعرِفُونَه، ومَضَى يُعاونُه لقاءَ أجْر، لَكنَّ ذَلكَ لمْ يَكُنْ كَافيًا، فَلجَأَ مُضطرًّا إلى الاقتراضِ، ورَفضَ أحَدُ الَّذينَ أقرَضُوهُ أن يَستردَّ القرضَ مُراعَاةً لضيقِ حَالِ أحمَد، لَكنَّ أحمَدَ أصرَّ قَائلاً:

– أنَا مَا أخذتُ القَرضَ إلا وَأنَا أنوِي أنْ أردَّهُ إلَيك.

وَلكي يُكملَ أحمَدُ مَسيرَتَهُ العِلميَّة دُونَ أنْ يُرهِقَ أمَّه، قَامَ بأعمالٍ عَديدَةٍ، فَعمِلَ حمَّالاً حينًا، ونسَّاخًا – للكتب– حينًا آخر.

الكرامة في الرزق

في بَغدادَ تَتلمَذَ أحمَدُ عَلَى الإمَامِ الشَّافعِي، وَحَضَرَ دُرُوسَهُ وأُعْجِبَ بِهِ كَثيرًا، وَممَّا قَالَهُ الشَّافعي في ابنِ حَنبَل:

– خَرَجْتُ مِنْ بَغدَادَ وَمَا خَلَفْتُ فِيهَا رَجُلاً أفضَلَ وَلاَ أعلَمَ وَلاَ أفقَهَ وَلاَ أتقَى مِنَ أحمَدِ بن حَنبَلِ.

وَلَمسَ الشَّافعي مُعَانَاةَ أحمَد، وَمَا يُلاَقيه مِنْ صُعُوبَةِ للإنفاقِ عَلَى رِحْلاَته في طَلَبِ الْعلم، وكَانَ الخَليفَةُ المَأمُونُ قَدْ طَلبَ مِنَ الشَّافِعيِّ أن يَخْتَارَ قَاضِيًا لليَمنِ، فَعرَضَ الأمرَ عَلى أحمد فَأَبَى - رفض- فَلمَّا ألحَّ عَلَيه الشَّافعي قَالَ لَهُ أحمَدُ: إنْ عُدتَّ إلى هذَا، لاَ تَرانِي أبدًا.

وَممَّنْ تَعلَّمَ ابنُ حَنبَلٍ عَلَى أيديهم «أبُو يُوسُف» قَاضِي قُضَاة الدَّولَة، فَقَد تعلَّمَ الحَديثَ بفضله، وأعجَبَهُ شَجَاعَتُه في مُواجَهَة الْحَاكمين.

فَتعلَّمَ أحمَدُ أنَّ الزُهدَ هُوَ التَّقوَى، وَالْعَمَلُ بسنَّة النَّبيِّ ﷺ ، وَليسَ الزُّهدُ هُوَ الابتعادُ عَمَّا أبَاحَهُ اللهُ لنَا.

ومنَ الْمَوَاقِف الَّتي رَواهَا أحمَدُ عَنْ شَيخه ابنِ المُبارك أنَّ ابنَ المبارك في طريقه إلى الحَج، وَرأى فَتَاةً تَأكُلُ مِنَ الْقمَامَة، وَأخبَرَتْهُ أنَّها هيَ وأخاهَا يَأكُلاَنِ مِنَ الطُّيورِ الْمَيِّتَة مُضطرِّين، وأنَّ وَالدَهُما كَانَ رَجُلاً ثريًّا تَمَّ تَجريدُهُ من ماله، وَقُتلَ ظُلْمًا.

فَمَاذَا فَعَلَ ابنُ المُبارك؟

قالَ لوَكيله: كَمْ مَعَكَ مِنَ النَّفقة؟

أجَابَه: ألفَ دينَار

فقال: عُدَّ منها عِشرينَ دينارًا تكفِينَا إلى بلدَتِنا «مَرو»، وأعطِهَا البَاقي؛ فَهَذَا أفضلُ مِنْ حُجَّتِنَا هَذَا العَام.

وَرَجَعَ بغَيرِ حَج.

رحلات الإمام

كَانَ أحمَدُ مُرْسَلَ اللحية، في وَجهه طُمأنينَة، نَحيلَ الجَسد، مُتوسِّطَ الطُّول، كَثيرَ التَّأمُّلِ، يَتطلَّعُ إلى الإحَاطَة بآفاق الْعلم المُختلفَة، فَسَعَى إليهَا، وَسَافَرَ إلى البَصرَة واليمنِ وَالحجازِ وخُرَاسانَ وفَارسٍ وطرسوس عدَّةَ مَرَّات، وكلَّفَتْه تلكَ الرِّحْلاَت مَالاً كثيرًا، فكَانَ يضطرُّ أحيَانًا إلى السَّفرِ مَسَافَات طَويلَة عَلى قَدميه، يَحملُ مَتاعَهُ عَلى كَتفه وَعَلَى ظَهرِه، وكَانَ أوَّلَ مَرَّةٍ يَسمَعُ فِيهَا للشَّافعي بالمَسجد الحَرَام بمكة.

وَفي الحجَازِ، حَضَرَ مَجَالسَ الإمامِ مَالكٍ، والإمامِ الليث بنِ سعدِ المصريِّ وغيرِهمَا.

وعُنِيَ أحمَدُ عنايةً خَاصَّةً بالأَحَاديثِ النَّبويَّةِ الشَّريفَة، فَجَمَعَ الآلافَ منهَا، وَجعَلَ حَيَاتَهُ تَطبيقًا لهذِهِ الأَحَاديث.

حال دولة الخلافة

كانتْ دَولَةُ الخلاَفة - وعَاصمَتُهَا بَغدَاد - يَسُودُهَا الظُّلْمُ وَالْفَسَاد، فمُعظَم أفراد الشَّعب في حَالٍ منَ الْفقرِ وَالْقهْرِ وَالظُّلْم، كمَا عمَّ النِّفاق، وَالْفُقَهَاءُ وَالْعُلَماءَ رَاضُونَ عَنْ هَذَا الفَسَاد، أو علَى الأَقل.. سَاكتُونَ عَلَيْه.

وقَرَّرَ أحمَدُ أنْ يكونَ مثَالاً لرجُلِ الدِّينِ الإيجَابيِّ الذي يُقَاوِمُ الفَسادَ أينَما وُجد.

لقَدْ فَزِعَ ابنُ حَنبَلٍ لمَا رَآهُ مِنَ الْعَبَّاسيينَ مِنْ أحْكَامِ هَذِه الدَّولَةِ الإسلاَميَّة الْكَبيرَةِ التي تَحكُمُ الْعَالَمَ.

وَأعْلَنَ ابنُ حَنبلٍ دَعْوَتَهُ إلى عدَمِ السُّكوتِ عَنْ الظُّلْمِ، وَضَرُورَةِ نُصْحِ الْحَاكمِ مَنعًا مِنَ الْفتنَةِ الَّتي تُهدرُ دمَاءَ الأبرِيَاء.



فقه وأخلاق الإمام أحمد

وأيَّدَ أحمدُ فكرَ وَسُلُوكَ عَلِي بنِ أبي طَالب، وَآمنَ بأَنَّ الإمَامَ عَلي كَانَ أَحقَّ بالْخلاَفَة من مُعَاوِيَة، وأنَّ مُعَاوِيَةَ كَانَ بَاغيًا ظَالمًا، وَأنَّ أَحْكَامَ الإمامِ عَلي هيَ منَ السُّنَّة، لَكنَّ ابنَ حَنبَلٍ لَمْ يَكُنْ منَ الشِّيعَة.. وَقَد تركَ لنا ابنُ حَنبلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كتَابَهُ المُهم «المُسْنَد» وَقَدْ أسْنَدَ فِيه كُلَّ حَديثٍ نَبويٍ شَريفٍ إلى رُوَاته منَ الصَّحَابَة، وَكَانَ يُقدِّر فقْهَ الشَّافعِي بوَجْه خَاص.

وَمن أَخلاَقِ الإمام أحمد التَّعَامُلُ مَعَ النَّاسِ بوَجه بَاسم، فَهُوَ يُقدّمُهُمْ عَلَيه في كُلِّ مَكَان، وَهُوَ كَثيرُ التَّوَاضُع، وَيُؤَكِّدُ عَلَى التَّسَامُحِ وَالمَوْعظَة الْحَسَنَة، وَقَدْ غَضبَ حينَ قَامَ أحدُ مُرَافقيه بكَسر آلَة للعَزف تَعْزفُ عَلَيهَا امرأة، غَضبَ لعَزْف المَرأَة عَلَى الآلَة، كمَا غَضبَ أكثَر لعُدْوَان صَاحبه عَلَى المَرأة.

وَحينَ وَشَى به شَخْصٌ لَدَى الْخَليفَة بوشَايَة يَترتَّبُ عَليهَا الحكمُ عَلى ابنِ حَنبلٍ بالقَتل، ثُمَّ ظهَرَ كَذبِ الْوشَايَة، أرسَلَ الخَليفَةُ بالوَاشي مُكَبَّلاً بالْقُيُود إلى أحمد بنِ حَنبلٍ ليَرَى رَأيَهُ في عقَابه, فقَالَ أحمد: لَعَلَّهُ يكونُ صَاحبَ أوْلاَد يُحزنُهُم قَتلُه.. وصَفَحَ عنْه.

وهكذَا كانَ بالغَ السَّمَاحَة، بعيدًا عن التشدُّد، عَلى غَير مَا ادَّعَى البعضُ عنهُ في العُصُورِ التَّالية عَليه وحتَّى الآن.

ولنتأمَّلْ مَوقفَهُ منَ الْحيَوان، فَقَدْ أفْتَى بأَنَّهُ لاَ يَحقُّ لأَحَد أنْ يُحمِّلَ حيوانًا فَوقَ طَاقته، وأنَّ الكَلبَ إذَا حَضرَ طعَامَ أحَدٍ فعَلَيه أنْ يُلقي إلى الْكلب بشَيء منه.

وفي الوَقت نَفسه أدانَ مَا يَقومُ به الأثرياءُ منْ إطعام الكلاَب أفخَرَ الطَّعام وَمنَ النَّاس مَن لاَ يَجدُ طَعَامًا إلاَّ في المَزابل وصَناديق القمَامَة.

وَهَذه صُورٌ منَ الرِّفق بالحَيَوان.

وَمَا أروَعَ قَوله وأصدَقَهُ حينَ يَقولُ:

إذَا أردتَّ أنْ يَدومَ لكَ اللهُ كمَا تُحبُّ، فَكُنْ كمَا يُحبُّ.

وَنَاشدَ أحمدُ الأُمَّةَ أنْ تَنْشَغلَ بجَوْهَر الأُمور ولاَ يَتعلَّلُوا بظَاهر الْكَلاَم.

ولَمْ يَكنْ يَتعجَّلُ في إجَابَاته، لَكنَّهُ يَتأمَّلُ ويَتمهَّلُ ثُمَّ يُجيبُ، وَإذَا لَمْ تَكنْ الفكرَةُ وَاضحَةً تمَامًا يَقولُ: لاَ أدْري.

وَأصبَحَ الإمامُ أحمدُ أكثَرَ عُلماء بَغدادَ علْمًا وَتقوَى، فَأقْبَلَ عَلَيه الطُّلاَّبُ منْ كُلِّ الْبلاَد، وأثارَ ذَلكَ غيرَةَ فُقهاء بَغدادَ وحقْدَهُمْ عَلَيْه.

وخَشيَ أحمدُ عَلَى نَفسه الْغُرورَ وَالزَّهوَ، ودَعَا اللهَ أنْ يَحميه من نَّفسه، فَقَدْ كَانَ يَعتبرُ الشُّهرَةَ منَ الْبَلاَيَا.

مع السلطان

كَانَ أحمدُ صَاحبَ مَواقف؛ فَهُوَ لاَ يَهابُ السُّلطَانَ إذَا تَعَارَضَ مَعَهُ في فكره، وهُوَ يَحزَنُ لأنَّ المُسلمينَ غرقُوا في نقَاشَات لاَ جَدوَى منهَا، وَنصحَ النَّاسَ بأنْ يَكفُّوا عَنِ الْكَلاَم في الْجَبْر وَالاخْتيَار وَرُؤيَة الله، ومَوضُوع خَلْق الْقُرآن.

لَكنَّهُ اضطرَّ لإعلاَن رَأيه بقُوَّة وَشَجَاعَة، بَل اصْطَدَمَ بالحُكَّام، ودفَعَ الثَّمنَ الَّذي يَدفَعُهُ الشُّرَفَاءُ منَ الْكُتَّاب في مَعَارك الْحُرِّيَّة وَالْمُطَالَبَة بالْعَدْل.

وَمنْ فَتَاوَاهُ أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ للْقَاضِي أن يَقبَلَ هَدِيَّةً، وَلاَ أيّ مُوظَّف فِي الدَّولَة، وَلاَ لمَنْ يَسعَى فِي مَصلحَة لغَيره لَدَى المَسئولين، كَمَا أَفْتَى بأَنَّ مَنْ زَادَ مَالُهُ وَهُوَ يَتولَّى مَنصبًا، وَجبَ عَلى السُّلطَان أنْ يَأخُذَ نصفَ مَاله فَيَرُدُّهُ عَلى المُسلمين.

وَلاَ يَزالُ دَاءُ الرِّشوَةِ يَسري فِي جَسَدِ الأُمَّة حتَّى اليَوم.

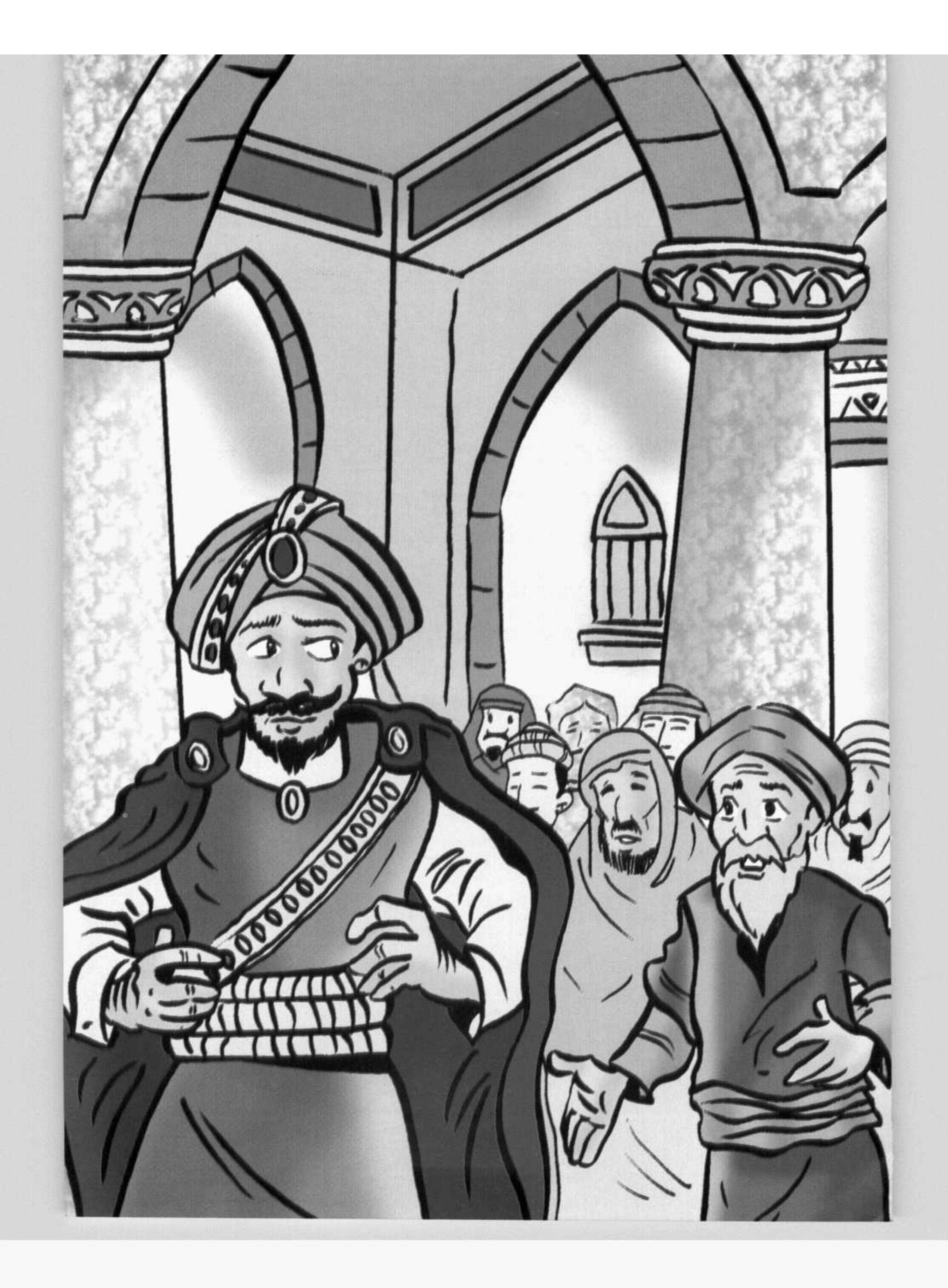
المحنة

مَنْ يَطَّلِعُ عَلى تَاريخِ العَالَمِ يُلاحظُ أنَّ منْ أسبَابِ انْهيَارِ الأُمَمِ انشغَالَ النَّاسِ بالجَدَلِ فِي أمُورٍ بَعيدَة عَنْ حَيَاتِهِم، وَقدْ عَرفت الأُمَّةُ الإسْلاَميَّةُ الْفرقَ والجمَاعَاتِ التِي اسْتغرقَتْ فِي جَدَلٍ طَويلٍ لاَ طَائلَ – فَائدَة– منْ وَرائه، ومنْ هَذه المُجَادلات الجدَلُ فِي مَوضُوعِ خَلْقِ الْقُرآن.

فَفي عَهْد الخَليفَة المأمُون – ابن هارُون الرشيد – كَانَ وَزيرُهُ الأَوَّلُ أحمدُ بنُ أبي دَاوُدَ يُؤمنُ بفكرِ المُعتَزلَة، وَكَانُوا يَقُولُونَ بأنَّ الْقُرآنَ مَخلُوق، ووَجَدَ الإمَامُ أحمَدُ نَفسَهُ مُطالَبًا برَدِّ هذَا الْخطَأ فِي الْفكْرِ وَالْعَقيدَة، وَأكَّدَ الإمَامُ أحمَدُ رأيَ السُّنة بقَوله: إنَّ اللهَ تعَالَى قَديمٌ أزلِي، وَالقُرآنُ الْكَريمُ كَلامُه، فَهُوَ لَيسَ بحَادث وَلاَ مَخلُوق، وَحَاوَلَ الْوَزيرُ أنْ يُفسدَ بَينَ الإمَامِ وَالخَليفَة الْمَأمُون.

وكَانَ الإمَامُ أحمَدُ قدْ بَلَغَ السَّادسَةَ وَالْخَمسينَ منَ الْعُمر، لَمْ يَقبلْ التَّهديد، وَأصَرَّ عَلى رأيه، وَتَبعَهُ تلميذُهُ الشَّاب مُحمَّد بن نُوح.

وَقَبَضَ الوزيرُ عَلَى الإمَامِ وتلميذه، وحُملاَ عَلى دَابَة وَاحدَة منْ بَغدادَ إلى طَرطُوسَ لمُقَابَلَة الخَليفَة المَأمون، وَكَانَ المَأمُونُ يُحَارِبُ جُيُوشَ الرُّومِ دفَاعًا عَنِ الشَّام، وَتَذَكَّرَ الإمَامُ أحمدُ مَوقفَ الْخَليفَة هَارُون الرَّشيد الَّذي منع



الْكَلَامَ فِي هَذه الْقَضيَّة الَّتي تُثيرُ الْفتَن، وَفي الطَّريق صَادفَ رَجُلاً أعرَابيًّا قالَ لَه:يَا أحمد، إنْ يَقتُلُكَ الْحَقُّ متَّ شَهيدًا، وإنْ عشتَ عشتَ حَميدًا.

قَالَ أحمدُ: لقَدْ قوَّى قَلبي بهَذه الكَلمات، وَلَمَعتْ في عينَيه الدُّموع.

وَرَغمَ مَشقَّة السَّفرِ الشَّديدَة أحس الإمَامَ أحمَدُ بمَشَاعرِ الرِّضَا لأنَّهُ لمْ يتنَازَلْ أمَامَ اضطهاد الوَزيرِ لَه.

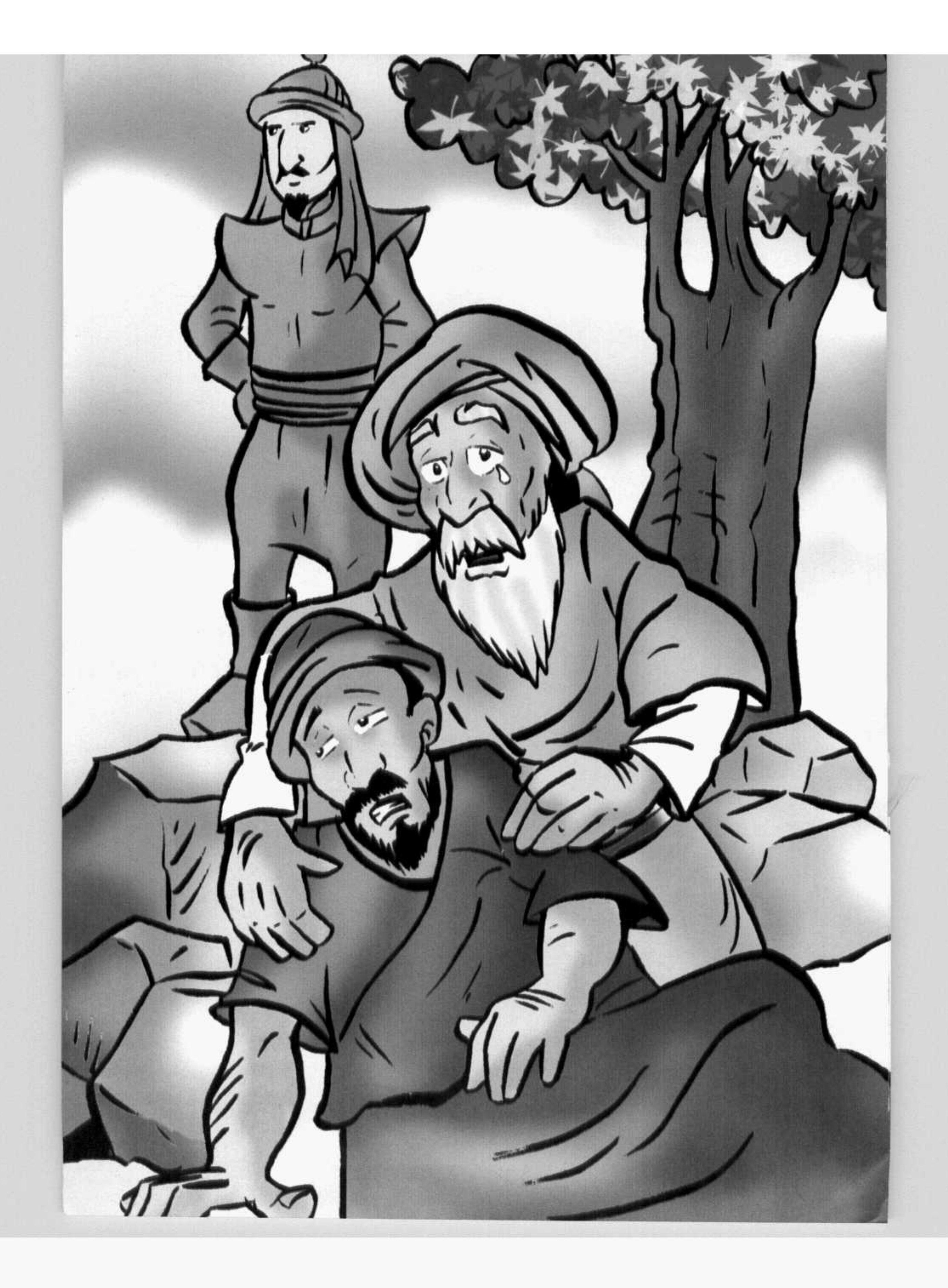
وَكَانت الْمُفَاجَأة.. فَبعْدَ وُصُولهمَا إلى طَرطوسَ بَلغَهُمَا نبأُ مَوت الْمَأمُون فَأُعيدَ إرسَالُهُما منْ جَديد إلى بَغداد.. وَفي الطَّريق اشتدَّ المَرضُ وَالإجهادُ عَلَى مُحمَّد بنِ نُوحٍ ومَاتَ شَهيدًا، وبكَاهُ الإمَامُ كَثيرًا.

وَتولَّى الْمُعْتَصمُ أخُو المأمون الْخلافَة، وَكَانَ قَويَّ الجسمِ ضَعيفَ العقْل وَالثَّقَافَة، فَسَيطَرَ عَليه الْوَزيرُ أحمدُ بنُ أبي داود الذي يَكرَهُ الإمَامَ أحمدَ لأنّهُ لاَ يُنَافقُهُ أو يَتقرَّبُ إليه كغيره.. وألقَى الوَزيرُ الإمَامَ في السِّجن، وَتعرَّضَ للتعذيب والإهَانة، لَكنَّ الإمَامَ لَمْ يتراجَعْ عَنْ رأيه لَحْظَةً وَاحدَة.

وَمَرَّتْ شُهورٌ بَعدَ شُهور، وفَشلَتْ كُلُّ صُورِ التَّرْغيبِ وَالتَّرْهيب في تَبديلِ رأيه وَإذلاَله.

وأثنَاءَ سَجنه عَلَّمَ المَسجُونينَ وهَدَاهُم إلَى طَريقِ الصَّلاَحِ فَالتفُّوا حَولَهُ وَأحَبُّوه، وَعَلمَ الوَزيرُ بذَلكَ؛ فَأمرَ بنَقله إلى سجْنٍ مُنفَرد، وَأقَامَ عَليه سَجَّانينَ غلاظَ الْقُلوب أغْبيَاء، يَجهلُونَ اللغَةَ العَربيَّةَ حتَّى لا يُؤثِّرَ فيهِم بحواره.

وَتَمَّ نقْلُ الإمامِ أحمد إلَى الخَليفَة المُعتصمِ لمُحاكَمته، وحَدَثتْ مُنَاظَرةٌ طَويلَةٌ – حوار– وَلَمْ يتغلَّبْ الوَزيرُ وَأعوانُهُ عَلَىحُجَّة الإمَامِ أحمد، وألَحَّ الوزيرُ عَلَى اعتبارِ الإمامِ أحمدِ ومنْ يَقولُ قولَه مُشْركًا ينبغي قَتْلُه.



وَصَاحَ الْوَزِيرُ المُنَافِقُ الذِي وصَلَ إلى الوزَارَةِ بالنِّفَاقِ: يَا أميرَ المؤمنينَ، هُوَ واللهِ ضَالٌ مُضِلٌّ مُبتَدِعٌ.. ثم أعيدَ إلى السِّجن.

وَتَكرَّرَ إحضَارُ الإمامِ أحمدَ بَينَ يَدي الخَليفة وَالفُقهاء عدَّةَ مَرَّاتٍ دُونَ جَدوى، وَفي السجنِ عَلَّقُوا الإمامَ وضَربُوهُ وهُوَ صَائمٌ حتَّى غُشيَ عَلَيه، ودَاسُوا عَلَيه بالنِّعَالِ حَتَّى نَزَفَ الدِّمَاء.

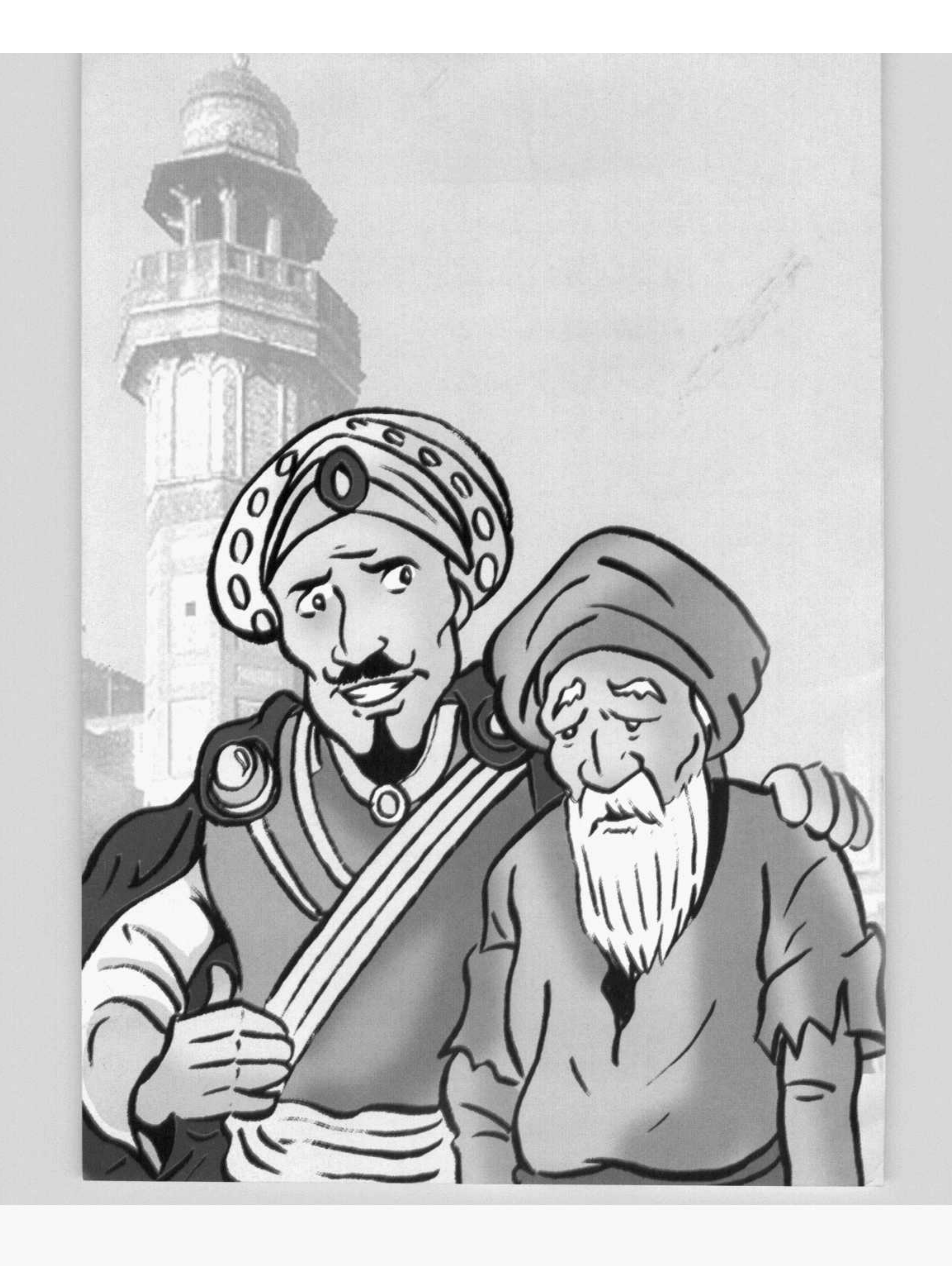
أمَّا بَنَاتُ الإمامِ أحمدَ فَقدْ قُلنَ: أدرِكُوا ابنَ حَنبلٍ قَبلَ أنْ يَضعفَ منَ التَّعذيب، فلئنْ يُرسَلُ إلينَا نَعْيُ أبينَا أهـونُ عَلينَا منْ أن نَسمَعَ أنَّ أحمدَ بنَ حَنبَلٍ قَدْ أذْعَنَ (خضع)، وَاشتَعَلَ غَضبُ النَّاسِ لتَعذيبِ الإمَامِ وَسجنِه، وهَتَفُوا ضِدَّ الْخليفَةِ، وكادَت تُصبحُ ثورةً شَاملَة، فَأطلَقَ الْخَليفَةُ سَرَاحَ الإمَامِ بعدَ عَامينِ وَنصفٍ مِنَ التَّعْذيب؟

فَمَاذَا قَالَ الإمَامُ أحمدُ فِي شَأنِ الْخَليفَةِ الْمُعتَصِمِ الَّذي وَافَقَ عَلَى سِجْنِه؟

قَالَ أحدُ المحبِّينَ للإمَام:

سيُعَذِّبُ اللهُ المُعْتَصمَ فيكَ لأنَّهُ ضَربَكَ وَأنتَ سَاجدٌ، فَذكَرَ الإمامُ أحمدُ قولَ اللهِ تَعَالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الشورى آية (٤٠)

إنَّه القلبُ العَابدُ السَّليمُ الَّذي يُضَاءُ بالعَفوِ، وَلاَ تَسكُنُهُ الْكَرَاهيَة.



نهاية هادئة

تَعَاقَبت الأَحداثُ، وَمَاتَ المُعْتصِمُ، وتولَّى الْخلاَفَةُ الواثقُ فَحاوَلَ أنْ يَتجنَّبَ الصِّدامَ معَ الإمَامِ، ثُمّ َ تُوفّيَ الوَاثِقُ وتَولَّى الخلاَفَةَ ابنُهُ المُتوكِّل.

حَاوَلَ المُتوكِّلُ أنْ يتقرَّبَ إلى الإمامِ أحمَد، وَأنْ يُساعدَهُ بشَيءٍ منَ الْمَالِ فرَفَضَ الإمَامَ أحمَدُ، وَظَلَّ يَعيشُ في مَسكنه الْفَقيرَ حَتَّى تَوفَّاهُ اللهُ في السَّابعَةِ وَالسَّبعِينَ منَ الْعُمرِ.

وَقَدْ أَساءَ بَعضُ أتبَاعِ الإمامِ أحمدِ بنِ حَنبلٍ فَهْمَ تَعَاليمه؛ فَتشَدّدُوا فيمَا لَمْ يَتشَدَّدْ فيه، وَتَخلَّوْا عَنِ الحِكمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، فضَاقَ بِهِمُ النَّاسُ، وَنَسَبُوا إلَى الإمامِ أحمدِ مَا لَيسَ فيه.

وَظَلَّ الإمَامُ أحمدُ عَلَى مَدَى الْعُصُورِ مثَالاً للشَّجَاعَةِ وَالصُّمُودِ في وَجْهِ الظُّلْمِ وَالْجَهْلِ، وَمثلاً للدِّفَاعِ عَنْ حُرِّيَةِ الرَّأيِ وَمُحَارَبَةِ النِّفَاقِ وَالرِّشْوَةِ.

وَظَلَّ مثَالاً رَائعًا للْوَفَاءِ وَبرِّ الإنسَانِ بِأُمِّه.

رقم الإيداع : ٢٠٠٧/٥٥٥٩
الترقيم الدولى : I.S.B.N : 977-6150-14-4
الطبعة الأولى : مــــايو / ٢٠٠٧م - ربيع ثاني ١٤٢٨

الناشر
دار الهدى للكتاب
ش الجمهورية - بيلا - كفر الشيخ - ج.م.ع
تليفون : ٠٤٧/٣٦٠٤٦٠١ - ٠٤٧/٣٦٠٩٦٠١